# فى التربية والتعليم

## النمـــــــــو ...

بقلم الأستاذ محمد مظهر سعيد
أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

### ما هو النمو ...؟

الطفل لا يولد إنسانا كامل التكوين ولا يظفر من الولادة فيصير تلميذا فى المدرسة ثم رجلا فى المجتمع ، وإنما هو يبدأ صغيرا ناقصا فى كل شىء ثم ينمو بالتدريج حتى يصير إلى تمام البلوغ . ونقصد بالنمو كل التغيرات التى تطرأ عليه إلى البلوغ وتكون تاريخ حياته كانسان حى وليس هذا النمو مجرد زيادة فى الحجم وإنما هو كمثل حياة أخرى تدرج وارتقاء فى بدنه وعقله وخلقه وتفتح تدريجى تجد فيه كل قوة وكل استعداد للقيام بما فرضة الظهور فى تمام وقتها الخاص كالشجرة أصلها كائن فى البذرة ولكن هناك وقت خاص للتزهير وآخر للاثمار .

وأهم ما يلاحظ فى الانسان القواعد الآتية :

١ — النمو سواء كان بدنيا أم عقليا لا يتدرج بنظام ، وإنما يسير فى مراحل تختلف فى سرعتها وقوتها كلما كانت الوظيفة البدنية أو العقلية ألزم لاستمرار حياة الطفل كالأكل والشرب كلما بكرت فى الظهور .

٢ — نمو كل فرد من بنى الانسان تحدده استعداداته الطبيعية وتكوينه الطبيعى بصفة قاطعة .

فالطفل العادى إذا لم تطرأ عليه ظروف سيئة تحدث أثرها فى تعطيله ينمو نموا مطردا مستمرا فيبدأ صغيرا ثم يكبر بالتدريج حتى يكتمل ، ولكن سرعة النمو ليست مع هذا الاطراد

ثابتة ولا الزيادة فى النمو ثابتة فهو يمر فى أدوار يسرع النمو فى بعضها ويبطىء فى البعض الآخر أو يقف عن النمو بتاتاً وتحدث له أزمة عقلية أو بدنية . والسبب فى هذا أن مولد بسيط التكوين لا يستطيع أن يقوم بغير بعض العمليات الأولية التى لا تكفى فى ذاتها لبقاءه حياً كالاحساس بالحر والبرد والشعور بالألم فمعاده كله على الطبيعة وعلى والديه أو من يعوله فى الحصول على أكله وشربه ووقايته من الجو والأمراض وما قد يتعرض له من الأخطار وبذلك يصرف طاقته الحيوية المتولدة أولا بأول فى أغراض حيوية أخرى غير الجهاد فى سبيل الحياة . كما تفعل الحيوانات الأخرى تساعده على تنمية أعضاء بدنه والقوى الكامنة فيه عند ولادته ترابطاً مستمراً من غير إجهاد ولا مشقة ، ولما كانت هذه الطاقة الحيوية محدودة وعملية النمو المستمرة فى ذاتها مجهدة لا يتحمل جهازه العصبى البسيط فأن استنفد جزءاً كبيراً من طاقته فى ظرف أو تحمل خاص مرهق اضطر إلى الراحة فترة من الزمان أو البطء فى السير توعاً ما لتعويض ما فقد ، والاستعداد للدور المقبل ولذلك يكون نموه غير منتظم لا يزيد بنسبة ثابتة ولا يتبع قانوناً محدوداً وعلى دفعات فى فترات متقطعة تختلف فى الطول والقصر بحسب سرعة النمو وكمية الطاقة المستهلكة ، ومن الطبيعى إذن أن تتخلل هذه الأدوار فترات يبطىء فيها النمو أو يقف تماماً مدة قصيرة ، فالنمو ليس عملية بسيطة وإنما هو شىء معقد لا يمكن تحديده فى قواعد بسيطة ولكن ترتيب الأدوار من الناحيتين البدنية والعقلية ثابت .

فالطفل فى السنة الأولى من طفولته ينمو نمواً سريعاً يصح أن يسمى القفزة الأولى وفى الدور الثانى يبطىء النمو قليلا وتقل سرعته وتمتلىء الأجزاء التى تكونت فيه فى الدور السابق ، ولذلك يسمى أحيانا بدور الملء الأول ، ثم يقفز الثانية من الخامسة إلى السادسة أو السابعة فيزداد طول قامته وتطول أطرافه تبعاً لذلك وتصل رأسه إلى حجمها الأقصى ، ويترتب على المجهود النهائى فى العنيف زيادة قابليته للتعب وقلة مقاومته للمرض ولذلك تكثر الوفيات بين الأطفال وترتفع نسبتها عن سائر الأدوار الأخرى ، ويعقب هذا الدور دور عدوه من ٧ - ١١ أو ١٢ فتبطىء السرعة مرة أخرى ولذلك يسمى دور الملء الثانى ويكون النشاط الحيوى العام فيه قوياً وكبيراً - بل وأقوى منه فى أى دور آخر من أدوار الطفولة - وإن كان نشاطاً غير منتظم ، وتزداد مقاومة الطفل للأعباء وتحمل الاجهاد البدنى المضنى فهو يتعب بسرعة ولكن كذلك يسترد نشاطه بسرعة مدهشة ويتحمل المخاطر ولا يعبأ بها ولا يبالى بما قد تجلبه له من ضرر جسمى - وتزداد متاعبه تبعاً لذلك فتكون نسبة وفيات الأطفال فيها أقل

منها فى أى دور آخر . وتعقبه القفزة الثالثة عند الاقتراب من البلوغ من سن ١٢ إلى ١٤ وتزداد سرعة نمو البدن وأعضائه فى هذا الدور زيادة كبيرة جدا وتبلغ نهايتها القصوى خصوصا فى الطول والوزن عند ١٤ أو ١٥ وهذا النمو السريع يستنفد معظم القوة الحيوية ويسبب تعبا كبيرا فى النشاط تكون نتيجته سرعة التعب والخمول والكسل وفقر الدم والقلق والاضطراب ، وبقدر ما تقل القابلية لأمراض الأطفال بالتدريج بقدر ما تزداد القابلية لأمراض الكبار ، وأكثر الأمراض التى ترفع نسبة الوفيات بين البالغين فيما بعد كالسل وفقر الدم تبدأ بدورها فى هذا الدور .

## الأزمات

تعترض سير النمو الطبيعى عند الطفل من الولادة إلى البلوغ أزمات فى فترات معينة ، بعضها بدنى والبعض عقلى ولكنها جميعها لها رد فعل سيء فى نمو الطفل العقلى والبدنى ولذلك يجب مراعاتها والاعتمام بها والعمل على تهيئة الظروف الصالحة لتلطيفها .

الأزمة الأولى بدنية : تحدث حوالى ٦ — ٧ تنمو فيها العظام وتزداد بعض الأعضاء زيادة سريعة خارجية يصعب على الجهاز العصبى معها أن يجاريها فتقل مقاومة البدن بحيث يضعف أقل مجهود ويشعر الطفل بآلام شديدة فى الذراع والمخ وتعب شديد يميل معه إلى الاستلقاء طول الوقت والأكل بشراهة ويضطرب نومه ويصير سلوكه رديئاً شاذاً ، ويبدو الاضطراب والقلق العصبى عند الأطفال العصبيين والدمويين ، والخمول عند سواهم ، وخير علاج لها البقاء فى الهواء الطلق والراحة والنوم الكثير .

### الدخول المبكر للمدرسة

وليس من شك فى أن الدخول المبكر للمدرسة فى السن الذى تقع فيه هذه الأزمة أى حوالى ٦ — ٧ هو من أهم العوامل التى تساعد هذه الأزمة على إحداث أكبر ما يمكن من الأضرار ببدن الطفل وعقله لأن الانتقال السريع من حياة المنزل أو روضة الأطفال الحرة إلى المدرسة الابتدائية المقيدة للحركة ، والعمل يرهق التلميذ ويعطل حركته ويرغمه على أنواع من الجهد الشاق لم يألفها وليس من شأنها أن تساعد على نموه الطبيعى وهو فى حالة الأعياء هذه ولو أن المدرسة الحديثة قد تولت فى نفس الطفل الميل للدراسة وتخلق له الوسائل المشوقة التى تلطف من حدة نظامها — وقد أثبتت التجارب العلمية المتعددة أن المدرسة العادية تؤخر نمو الأطفال الذين يبكر أولياؤهم بإرسالهم إلى المدرسة فلا يتفوقون كثيرا فى العلوم

المدرسية حتى الذين يدخلون بعد السابعة وعلى الرغم مما اكتسبه الأولون فالمتأخرون يلحقون بهم ويسيرون بعدئذ جنبا إلى جنب ، ولهذا السبب أنشئت رياض الأطفال والمدارس الأخرى التي تقوم الدراسة فيها على اللعب والحرية والراحة التامة من سن ٥ — ٧

والأزمة الثانية: عقلية تقع بين ١١ — ١٢ يجمد فيها الذهن ويركد العقل ولا يحسن الطفل فيها القيام بأي عمل شاق ولا يتحمل فترات العمل الطويلة ولا الدراسة المستمرة وهي على العموم معطلة للنمو العقلي ولهذا أثرها السيء كذلك في البدن وخصوصا الأعمال البدنية والأشغال اليدوية التي تحتاج لمجهود عقلي كبير .

والأزمة الثالثة: مزدوجة أي عقلية بدنية — تحصل قبل البلوغ مباشرة ويكون الولد فيها حائر النفس متهيج الأعصاب ضعيف المقاومة لا يعرف ما يريده هو من نفسه وما تفعله به يد الطبيعة ويشتد اضطراب الأعضاء عند تمام نضوج أعضاء التناسل فلا يحسن البالغ القيام بعمل ما بدنيا كان أم عقليا .

ملاحظة :

ويصح أن نذكر هنا أن هذا التحديد في السن مبني على النتائج التي وصل إليها علماء الغرب وقد لا ينطبق على العقل المصري وما دامت الأبحاث التي أجريت بمصر ليست إلى الحد الذي تعطينا فيه نتائج قاطعة ، فيصح أن نعمل بهذا التقسيم مؤقتا على اعتبار أن الطفل المصري يسبق الأجنبي الغربي في البلوغ بعام أو عام ونصف ، وبذلك ننتهي إلى عام في دور الأزمة الثانية ، ويستمر شهور في دور الأزمة الأولى — كما هو الملاحظ

وهناك فترات راحة أو استجمام للنشاط والاستعداد لنمو مقبل على أثر الاجهاد من دور سابق لا يقف فيها النمو بتاتا ، ولا يتعطل وإنما يهدأ قليلا ثم يتوثب فيسرع وهذه تختلف باختلاف الأفراد .

محمد مظهر سعيد

# رجل الغـــــــد

بقلم المربية الفاضلة الآنسة زينب الحكيم

أتحدث إلى حضراتكم عن رجل الغد وما هو رجل الغد ؟ أهو طفل اليوم وفتى اليوم وشيخ اليوم .

ولست أعني ذلك الذي لم يتجاوز الثامنة أو التاسعة فحسب ، إنما أعني العقل كما يعبر عنه الانجليز . فأن لفظة الطفل تطلق على الانسان حتى العشرين ولا غرابة إذا قلت أن تقريب الانسان بالطفل مدى حياته يكون أقرب إلى حقيقة نصيبه منها فليس لفظا الشيخ والهرم آخر لفظي الطفل والشاب فلقد يكون الفرد في عامه الخامس أو أدنى وعقليته عقلية رجل ولابد قد علمتم أن أصغر فورمر فرنسي عمره خمس سنوات ، وأن رجلا عمره خمس سنوات في أمريكا ألف كتابا ولقد يكون الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة أو الذي لم يتم عقده الثالث في كياسة الرجل المجرب والشيخ المحنك .

ومصطفى كمال الذي نهض بتركيا بعد أن أذن على جنازتها مؤذن الموت كما تروون وتسمعون عن إصلاحه فيها وإنشائه لها من جديد هو أصغر المجددين سناً الآن — ونيوتن صاحب نظرية الجاذبية كان أصغر فتى في العالم أجمع حاز مثل مركزه فقد عين أستاذاً للرياضيات في جامعة كمبردج ولم يتجاوز الثامنة والعشرين .

وما هو مصطفى كامل الذي عمل لوطنه في الجزء الأخير من حياته مالم تعمله أجيال بأسرها في عدد الأعوام قد مات وعمره ٣٤ سنة فقط كما أن اسكندر المقدوني الذي فتح الفتوحات وطبقت شهرته الآفاق ، مات وهو ابن ثلاثين سنة .

هذا وقد يكون رجل الأربعين في عقلية اليافع ، وقد يكون الهرم الذي أكل عليه الدهر وشرب ، أبله غراً ولا تساوي عقليته عقلية دجاجة أو سمكة ولا أقول طفلا . إن الطفولة في شئون الحياة غير طفولة السن وإن تكن هذه مرتبطة بتلك غالباً حيث أثبت لنا علم النفس قديماً وحديثاً ضرورة ملاءمة نشاط الانسان وجميع ما يحيط به لحالته الخاصة ولسنة المعينة بقدر الامكان .

أما وقد أخذت التجارب طلتها في ثمار حياتنا ، وقلدات أكبادنا منذ القدم بحيث لم

يفيض من مجموع سكان هذا الكون إلا أفراد تكاد تحصر عدا في كل علم وفن وهؤلاء هم الذين شقوا طريقهم في الحياة ، سواء تهيأت لهم الظروف أو لم تتهيأ ، فقد وصلت من هذا الحكم وهذه الحقيقة إلى أنه لابد في نظامنا العالمي العملي والمعنوي نقص مبين يرجع إلى ضعف سبل تطورنا . وبما أن المقام مقام تحليل على عملي نريد من ورائه الوصول إلى حل يرضينا ، ونتيجة فعالة نطمئن إليها لرجل الغد ، أقول : —

إن هذا الجيل يسمى جيل الطفل ، هو اسم موافق لشدة اليقظة التي أصبحت تحوط الطفل متدرجة ببطء من أيام أفلاطون وبلوتارك اليونان الذي عاش في القرن الأول للميلاد، وتقدمت تلك الحركة بشكل أسرع من أواسط القرن الثامن عشر حتى بلغت الذروة اليوم .

وفي يقيني ، أن هذه العناية الفائقة واليقظة الصادقة نحو الطفل لم تكن إلا رليدة انتباه العقول الفذة المدبرة التي أدت رسالتها إلى العالم على أكمل وجه ؛ وإذا كان هؤلاء قد نفذوا إلى عالم الجهاد والكفاح وسط العواصف القاصفة ، والأفكار الهائجة والمتشبعة جهلا وغلظة دون أن تساعد أو تمهد في إبان كفاحها ، فلابد قد لاقت من الجهد أشقه ، ونالت من الوهن آلمه ، ومن الشدة أمضها . ومع ذلك ظهرت لنا من بينهم عبقريات تبقى مدى الدهر ، وأمثال هؤلاء كثيرون ، قدماء ومحدثون : —

فهاهو إديسون النور والسحر ، وتاريخ حياته حافل بالصعاب من ألفه إلى يائه ، ولكن هل هذه الصعاب أوقفت نبوغه وعبقريته دون أن يبلغ جل أغراضه ؟ ! وهل منعته ظروف الحياة القاسية من أن يختف من قسوتها ، وأن يشمل العالم أجمع بنور مخترعاته التي تفيض على الآلف ؟ لست في حاجة إلى تعدادها فحضراتكم تحسونها بجميع حواسكم المرهفة وتقدرون أهميتها بأحاسيسكم الراقية .

ثم هناك قاسم أمين ، الذي كانت روحه روح أديب ، روح حساسة ونفس جياشة ثائرة ، تتعزل للبحث والتنقيب ، فتستطلع مافي حياة الكون وحركته من نشاط وجمال ، بل كانت عباءة الواسعتان كما يقول هيكل ، « تريد أن يرى جدة الوجود الدائمة تتكرر مناظرها لتطبع على صفحات نفسه وحيا وإلهاما أكثر مما تؤدي إليها المباحث الجافة منطقا وجدلا . فكان يحرص على متاعه منها ، ويدعو غيره لهذا المتاع ، وذلك لا يؤتاه إلا رجل فن جميل ، لا يقف عند التلذذ لنفسه بنعم الحياة ، بل يعبر لغيره عن معاني هذه النعم ، فقاسم أدى رسالته بالتعبير عن شعوره ، بوصف مافي هذه الحياة من مختلف ألوان الجمال » .

ثم قال هيكل : « وحياة قاسم كانت كلها متجهة إلى هذه الدعوة ، وكانت متجهة إليها بقوة آخذة بنفسه ، متغلبة عليه ، حلت منه محل الإيمان بها إيمانا صادقا » . إنك لتدهش أن

تعلم أن قاسما كان مع كل هذا قاضياً فستشاراً إبان حياته ، وقد قصدت أن أنقل لحضراتكم حرفيا هذه الفقرات عن حياة قاسم بقلم هيكل ، لأني أعتبرها جمعت فأوعت ، وسجل نفسية كاتب نزيه وتظهر سمواً خلقياً لذلك الكاتب ، وما أجمل ما يمتدح به رجل رجلا ، وليس أعظم من أن يبكي رجل رجلا ، ولا أن تمتدح امرأة امرأة .

ويودي أيضاً أن أرى حضراتكم نموذجا للأسلوب الكتابي الراقي والتفكير النثري المنظم ، فلو أخذت نموذجاً لكاتب من طراز آخر واسع صدركم لسماع شيء من كتابته النثرية ، لما ترددت في اختيار الدكتور طه حسين ، وهو في نظري شخصية عبقرية مزدوجة كقاسم أمين ، فكما أن قاسما كانت له قدرة تعدد العبقرية كالدكتور طه فان الأخير يمتاز في إيجاد فروع للعبقرية الواحدة . فهو عبقري إذا كتب في الأدب ، وعبقري إذا كتب في النقد ، وعبقري العبقرية إذا كتب في السياسة .

وهو مع هذا ليس أديباً أريباً فحسب ، بل هو فوق ذلك مربٍ ماهر واجتماعي حصيف ، فتفضلوا بسماع حديثه لابنته في كتابه « الأيام » ص ١٢٧ .

والقارىء لحديثه مع ابنته يرى عظم الفرق بين طفولته وطفولتها ، وكيف أنه تحمل مايستطاع ومالا يستطاع للتغلب على شئون الحياة وتنشئة ابنته عدته وأخاها على أحسن ما يمكن ، كذلك نلحظ أنه في حديثه يولي ابنته ثقة على صغرها مما يربي شخصيتها ويشجعها على الاعتماد على النفس ، وسلوكه هذا مع أطفاله قدوة طيبة لمن سيكون رجل الغد .

ويهمني أن آخذ شوقي كمثل أعلى للشاعرية المصرية فقد كان عبقريا متفننا ، أما شعره على حدة فلست في حاجة إلى ذكر شيء منه لحضراتكم ، فكلكم قارىء وكلكم مطلع . وإن ما تخيرته لأن أسمعه لحضراتكم قطعة شعرية من قصة كليوبترا لأظهر شيئا من عبقريته من هذه الناحية ناحية القصص التمثيلي الشعري ، فلقد صور نفسية المرأة القوية في أشد مواقفها بشكل يشهد له بالمقدرة الفائقة . وليس يعنينا كثيراً موضوع أزمة كليوبترا النفسية ومحاولتها التخلص منها بالطريقة التي حصلت ، وإنما نريد الوقوف على قدرة شوقي في تصوير نفسية امرأة .

في القطعة الشعرية التي مطلعها « هلمي الآن منقذي هلمي » والتي منها :

سطت روما على ملكي ولصت ... جواهر أسرتي وحلى آلي
قرمت الموت لم أجبن ولكن ... لعل جلاله يحمي جلالي
وقد علم البرية أنت تاجي ... تقيه الشمس والأسر العوالي

ومنها :

بطالبني به وطن عزيز ... وآباء وذائعهم غوالي

ومنها :

أموت كما حييت لعرش مصر ... وأبذل دونه عرش الجمال

وبعد، أما آن لنا الأوان، وحان لنا الوقت، أن نقوم قومة الرجل الواحد، ونتمثل بتلك المرأة العظيمة، فنأبى الضيم على أنفسنا، ونقتضي بحقوقنا كاملة، وترد جائحة الاستعمار عن عزتنا القومية، فنستميت في الدفاع عن وطننا وحقوقنا إلى آخر رمق لنا في الحياة؟.

ثم لننتقل إلى عبقري من طراز آخر، ذلك هو شلي الشاعر الانجليزي، ويعجبني منه وقد نشأ في أسرة نبيلة وورثه جده غنى طائلا، أنه زهد في المال، ورغب عن الدعة والراحة وترك بيت أبيه وأهله جميعاً، لا على أن يشتغل بما أوتي من موهبة الشعر وما ورث من مال، فينسى ملاكه ولا يستمع لوحيه، ويذكر شيطانه فيتبع خطواته كما فعل من العرب عمر بن أبي ربيعة ومن الانجليز بيرون الشاعر، وإنما سما بنفسه الزكية وإحساسه الراقي إلى جمال الطبيعة وفسيح الخيال، فترك الناس من بعده أثراً خالداً يبقى على كر الأيام ومر الليالي.

إلى هنا قد يسألني البعض فيقول. وما الذي كافأت به الحياة أمثال من ذكرت؟! فأقول: يكفي أنهم انتفعوا بشغل قواهم ومواهبهم في حياتهم إذا لم يكونوا قد انتفعوا أو استمتعوا بشيء آخر.

وحقيقة ليس منا من ينكر أو يستهين بما نال عظماء الرجال وعظيمات النساء في مختلف العصور من أذى ونضال شاق وتضحيات جسام. إلا أن كل هذا معفو عنه، ومشاد بفضله، فلولا تضحيات العظماء النفوس، العظماء الهمة، العظماء الجلد والاقدام والمثابرة، لما وصل العقل البشري إلى ما نراه فيه من رقي وتطور.

ولو حاولت أن أستمر في سرد أسماء بعض العظماء والعظيمات ولو اسما واحدا لكل فريق ممن امتازوا بعبقريات خارقة، لطال بي المقال فهناك مدام كوري، وبوديشيا زعيمة المدافعات عن الوطن، ومنتسوري صديقة الطفل، ورابعة العدوية زعيمة المتصوفات، وأم المحسنين زعيمة الرحمات، وهناك نتشا، نسلا، وسعد، ونابليون، ومحمد علي، ولدج وغاندي، وغير هؤلاء كثيرون جدا.

والذي أريد أن أقوله الآن هو: إن هؤلاء على كثرتهم قليلون بالنسبة إلى عدد الانسان في العصور السابقة وفي العصر الحاضر، فكيف نصل برجال الغد إلى أن يكونوا عبقرة مثل هؤلاء، إن لم يكن في جميع نواحي الحياة ففي أكبر جزء من المستطاع الممكن!! إن زماننا غير زمان من سلفوا، وقد جاء في الأثر الشرقي وقد سبق العربي(١) ما معناه: «لا تكرهوا أبناءكم على ما ألفتم، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.» والحقيقة أننا نريد تاراً يائمة ننتفع بها انتفاعا طيبا، ونصل بواسطتها إلى تأسيس مجتمع راق، تكون القيادة فيه للعقل (أي قوى النفس جميعا) لا للغريزة الأولية، أو أن يستمر الخلف مرتكنا على السلف، والسلف ضاغطا على الخلف، مما يفقدهم ميزاتهم الطبيعية من تفكير ونشاط

(١) «لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»: (أفلاطون)

فيتراجع الجميع القهقرى بدل السير قدما إلى مراقى الانسانية .

وإن ما تتطلبه أطفالنا اليوم غير ما كان متبعا بالأمس ، لذلك إذا أردنا أن نسبل على طفل اليوم الوصول إلى هذه الغاية التى نطمح إليها فان يكون ذلك بغير تيسير السبل لظهور نزعاته ورغباته وميوله الدفينة إلى خير العمل المنتج علما وعملا ، مع ملاحظة اتزان أجهزته الجسمية خصوصا جهازه العصبى ، وهذا مايجب أن يأخذ جزءا كبيرا من عنايتنا ونشاطنا فأننا لو اهتممنا بعمل ذلك ؛ لرأينا العجب العجاب من ناشئة اليوم خصوصا أن العصر عصر عمل منتج ، وأصبحت الطرق معبدة واضحة ، ويجد العقل من الوقت مايساعده على التفكير والابتكار ، لاسيما أنه من مزايا الكائن الحى النشاط الذاتى العقلى ، وليس ذلك مقصورا على أبناء أمة واحدة وإنما يشترك فيه كل كائن حى فى هذا الوجود ، لذلك كان لزاما أن نطرق باب الرقى البشرى العالمى من هذا الطريق وقد اتفق فى ذلك غالبية المربين قديما وحديثا ، فقال لوك الانجليزى ( سنة ١٦٣٢ ) فى هذا المعنى :

١ — إن المعارف الحقيقية لا تنال إلا بتمرين العقل .

٢ - لكل عقل مميزات خاصة ، لذا وجب أن تكون التربية مؤسسة على ما لكل طفل من مميزات ، وأيضا على حاجاته الاجتماعية ، وأن تهتم بما يكون عليه فى حياته العملية .

وقال روسو (١٧١٢) : ليس معنى الحياة مجرد التنفس ، فمعناها العمل باستعمال أعضائنا وحواسنا ، وقوانا العقلية ، وباستعمال كل ما بنى من جسمنا ، حتى نحس بوجودنا ، فالغرض من الحياة ومن التربية أن نعيش عيشة تامة .

وقال بستالوس ( ١٧٤٦ ) : يجب ألا يكون التعليم غرضا فى ذاته بل واسطة فى التربية العقلية وتقوية المواهب جميعا تقوية عملية .

وقال فروبل أبو الطفل وحاميه : يجب أن تكون طرق التربية مرشدة الطفل دون ظهور ، وصالحة لقيادته بحكمة لكى يسير وفق طبيعته لا ضدها :

وإن من أهم قوانينه فى التربية قانون النشاط الذاتى . وإنا نبرهن على صحة نظريته هذه بأن تمرين أى عضو فى عمل مايستتبع تقوية ذلك العضو فيه ، وينميه نموا متناسبا مع تمرينه . وكذلك الطفل ، إذا استعمل مجهوده الذاتى فى فرع خاص من الرياضات العلمية أو العملية ، فأنه يحصل على النمو المطابق لهذا المجهود ، وبالعكس إذا أساء استعماله فأنه يعطل نموه تعطيلا ، متناسبا مع إهمال هذه التمرينات . ومن ذلك ترون أن العقل بقوته الأصلية ونشاطه الخاص به يؤسس لنفسه عالمه الادراكى . فالعمل والنشاط والحركة تحقق للشخص عالمه الخاص . ولا سيما أن النشاط الذاتى الصادر عن البواعث النفسية الخاصة والناتج عن الرغبة والارتياح ،

والقائم على توفر القوة للفرد يمكنه من الحصول على الفائدة المقصودة من التربية الصحيحة .

هذا وإن النشاط الذاتي أو ما أسميه أنا السعي الصادر عن الطفل بطبيعته يمهد للتفكير والعقل فرصا عظيمة للتهذيب بتنسيق وربط بيانات أفكاره بما يحيط به . وبذلك يفهم الطفل أن الغرض من وجوده كوحدة مستكملة فى ذاتها دعامة أولية تؤسس عليها الأنانية .

وبعد فما لا يختلف فيه اثنان ، أن حرمان الفرد ومن ثم الجماعة من ميزة النشاط الحقيقى والتجارب العملية جريمة خطرة على التقدم القومى والعدالة القومية والنظم الطبيعية .

البلد المصرى بلد الثورات السريعة لطبوب السريعة السكون . وذلك شأن البلاد المغلوبة على أمرها ، ومصر تفوق غيرها فى ضياع نشاطها بسرعة تفرقها وتعدد أحزابها ، وإذن فاستفادتنا من ثوراتنا قليلة نسبيا ، وإذا ضربنا صفحا عن الثورات السياسية ، وفكرنا فى شىء أشد مساسا بموضوع بحثنا هذا ، وأخذنا ثورة تعديل المناهج الدراسية منذ عام ١٩٢٤ مثلا لما أقصد ، ومثلا حيويا يهم كل فرد فينا ، وجدنا أننا لا نسير على نظام معقول صريح للوصول إلى أغراضنا فى مختلف الشئون ، بله شئون التربية والتعليم ، تلك المسألة الهامة الحيوية التى يتوقف عليها رقى العالم أجمع . لقد اتفق فى هذا البلد على وضع نحو العشرين إلى الثلاثين مادة لتدرس فى المناهج ؛ وكلف الطفل ذلك من طور الروضة إلى الدراسة العالية فالتخصص ، هذا عدا الاجتماعيات التى تجد العناية بحركاتها وتشجيع النشء بشتى الوسائل على الاندماج فى سلكها بدل اندفاعه إلى تيار المجتمع الفاسد ، فينتهى المقاهى وأماكن اللهو كالمسخر لأخلاقه جيبه وإفلاس مالية والديه ، وتخريب أخلاقه وإفساد مستقبله .

ولكن لنقف هنا قليلا ولنسائل أنفسنا : هل أفادتنا ثورة تعديل المناهج ؟ الجواب مع الأسف سلبا . لأنا لا نزال نرى الطلاب متأففين والآباء غاضبين والمدرسين ناقمين ، والحقيقة أن للمناهج بهذا التعديل لم تخرج لنا رجالا كنا نطمح فى إيجادهم ، والأسوأ من ذلك أن من شذ بذكائه ونشاطه واستعداده أهمل شأنه واستولى عليه اليأس من دوام عدم تشجيعه . ومن هذا نرى التقهقر ظاهرا ، ولقد يكون لها الحق فى بعض النواحى ، غير أنى أرى أن سبب هذا كله يرجع إلى أساس هام لم ينتبه إليه أحد من القائمين بالإصلاح فى مصر ، ذلك هو إصلاح شأن الطفل فى السنوات التى تبدأ من يوم حمله إلى أن يلتحق بالمدرسة ( الروضة ) فى سن الخامسة . متغاضين فى ذلك عن أهمية علاقة الآباء بالأبناء التى لا تعرف الأمر عنها إلا النذر اليسير ؛ وثانيا يشكو الجميع من مواضع لا يجب أن تكون موضع شكاية بل يجب أن تكون موضع تقدير وعناية ، مثال ذلك أنهم يشكون من كثرة مواد الدراسة مع أن ذلك فيه — إعلاء لشأن الطالب حيث أنه عامل قوى لتوسيع

مداركه وإنماء شخصيته ، وإن ذلك بمثابة نواة أولى تمكنه فى المستقبل من الصعود عليها إلى أقوم درجات البحث والتنقيب ، ومن هذا ترى أن الشكاية كان يجب أن تكون من سوء طرق التعليم وتواكل أو جهل القائمين به ، وسوء ترتيب الدراسات المتنوعة فى السنة الواحدة وفى مرحلة التحصيل كلها ، وجعل دراسة جميع المواد إلزاميا لكل طالب ، وغير ذلك .

أما السبب الأول وهو الجدير بالعناية الفائقة فى نظرى ، هو السبب الذى من أجله ضربت الأمثال بالعبقرية السالفة الذكر على أن أهيب برجل الغد أن يقتدى بهم . وذلك لكى يكون خير قدوة لأطفاله حالما يكون أبا إن كان رجلا وفى حالة ما تكون أما إن كانت امرأة خصوصا وأن العلم والتجارب أكدت أن هناك علاقات ثابتة بين الوالدين وأبنائهم . فهناك :

١ — علاقة طبيعية ، وتلك هى رابطة الزواج التى ينشأ بواسطتها الطفل ومما لا ريب فيه أن هناك ميزات طبيعية ثابتة توضح علاقة الطفل برجل وامرأة هما أمه وأبوه . فأذا كانا سليمى الجسم والعقل وعبقريى المواهب ، ظهر ذلك فى نتاجهما الذى يجب أن يكون محدود العدد ، حتى يستطيعا تنشئته بسهولة ونجاح .

٢ — ثم هناك الرابطة الانفعالية بين الوالدين والأبناء وهذه الصلة مميزة للرابطة الطبيعية وكثيرا ما نسمع الوالدين يرددان ، ابنى ، ابنتى ، ولدى ، مع قصد التشديد على ياء المتكلم ، وأقل ما فى هذا التعبير الانفعالى من مظاهر ، هو مظهر الحب الأبوى وهذا يعنى به دائما ما يكنه الوالدان لأولادهما من المحبة ، ولا يشترط أن يعنى به ما يكنه الأولاد لآبائهم من محبة . ( لأنهم يكتسبون ذلك كلما تقدمت بهم الأيام ) .

٣ — ثم هناك الرابطة العقلية — فكلما نما الطفل وتقدمت به سنو عمره ، نمت عنده رابطة عقلية خاصة ، فهو يحفظ أو يتعلم من والديه إذ يتحدث إليهما عن الأشياء ، ومما لا شك فيه أن الرابطة العقلية هذه لها ارتباط وثيق بالرابطة الانفعالية السالفة الذكر .

٤ — وأخيرا هناك الرابطة الاجتماعية بين الوالدين والأبناء ، فنلحظ أن الوالد الفخور بابنه والمسرور منه بمرضه لتجاوب مختلفة وأشياء ممتازة لابنائها لباقى الأطفال من نفس الأسرة ، لأن حالهم لا تدعو إلى الفخر وليسوا حائزين الرضا التام من والديهم ، والحكم العادل فى أمثال هذه الأحوال يتوقف على مقدار ثقافة الوالدين ومقدار دراستهما لأبنائهم ، وهنا يظهر فرق كبير بين الطفل الذى يأخذه والده هنا وهنا ، وبين الطفل الذى يظل قعيدة البيت حتى إذا ما خرج إلى المجتمع كان أبله قليل التجربة ، غريبا فى محيطه .

لذلك فنحن فى حاجة ماسة إلى مساعدة فعلية للآباء والأمهات لكى نعاونهم على النهوض بأمرهم من جهة تربية النشء ، والتعاون على الحياة المشتركة ، ولقد قدمت أن لفظة الطفل

يصح أن تطلق على الانسان مدى حياته لكى يستطيع الدرس والتنقيب طول هذه الحياة ، إذ لا خير فى عقل يقف تفكيره وحياة تنتهى غايتها .

إذن نحن فى حاجة إلى مدارس خاصة بالآباء تشبه بما اتبعته الأمم الراقية للأخذ بناصر الانسانية ، فمنذ أوائل القرن العشرين تنبه علماء الاجتماع والتربية إلى الدور الهام الذى يمثله الآباء فى تربية رجال الغد لما بين هؤلاء وأولاء من الروابط والعلاقات ، وكيف وجد أن هذه الروابط بين الآباء والأبناء غير كفيلة بأعداد النشء إعدادا مرضيا ، لذلك يجب أن تعوض الآباء ماقاتهم فى أوقات تحصيلهم . فتزودهم فى تلك المدارس بكثير من العلوم المستحدثة كعلم النفس التجريبى والاجتماع والمنطق والفنون المتنوعة لما لها من أهمية فى تربية وتكوين عقليه الناشىء كما تساعدهم على دراسة الطفل بنوع خاص فى أشهر أطوار حياته خصوصا طورى الطفولة فالمراهقة ، انقاذا ماعساه يقع من مشاكل خلقية واجتماعية فى المستقبل

وعليه يجب أن نسرع فى إنشاء اتحادات وجمعيات للآباء بحيث تضم الأمهات والآباء من كل الطبقات لتبا حثهم ونرشدهم فى أمور تربية رجال الغد . كما عملت انجلترا وأمريكا عام ١٨٧٧ الأولى و١٨٩٧ الثانية .

وبالضرورة سينشأ عن هذا معاونة المدارس على مهمتها الشاقة وستقدر العناية بالأطفال العمل والمتشردين ونحن بموضوع رعاية الطفل بشكل أعم إن لم يكن بتلك المدارس الخاصة فليكن بكثرة المحاضرات والدراسات والتجارب العملية .

فأن حالتنا الراهنة فى مصر حال يشفق على البلاد منها ويرثى لأخلافها وأنه طالما لا تأخذ يد بعضنا بعضا ، ولا نشد أزر بعضنا بعضا ، وطالما لا يوجد من يهيئه الله لأن يأخذ بناصرنا ويهدينا الصراط المستقيم ويوجهنا الوجهة الصالحة فلن نستطيع أن نعامع فى عيشة راضية وجنة عالية على هذه الأرض والواجب علينا جميعا ، أن نعمل بقول سالم بن عبدالله حيث قال : « اجعل الناس أبا وأخا وابنا . فبر أباك ، واحفظ أخاك ، وارحم ابنك » وعلينا أن نعمل كثيرا ولا ننتظر أجرا كبيرا

ولا يفوتنى أن أقول إن على المرأة وأنا واحدة من جنسها أن تشمر عن ساعد الجد وأن تساهم بجزء وافر من نشاطها وذكائها ومثابرتها لأن تؤدى رسالتها على أكمل وجه ، وأن تأخذ بيد الرجل فى تسامح مهما كلفها ذلك من مشقة

وليعلم الرجل المصرى أن رسالة المرأة المصرية لا تتقدم إليه الا إذا استعد لاستقبالها . فأذا كان يرجى للمرأة المصرية الجديدة أن تضارع أختها الناهضة أو أن تشرع تتمثلها من نساء الغرب اللائى غيرن صفحة التاريخ بما أوحين إلى النوابغ والعباقرة ، فلا بد من إعداد الرجل المصرى لتلقى رسالتها بقبول حسن وأن يحلها المكان اللائق بها حتى تنهض بمصر النهضة التى توصلنا إلى الكمال التام .

زينب الحكيم

# الثقافة

لمر أستاذ أحمد فؤاد الأهواني

أستاذ الفلسفة وعلم النفس بالمدارس الثانوية

---

وأريد أن أحدد ما أنا ذاهب إليه من الحديث بعد هذا العنوان ، فقد تطيع أن تكتب الكتب ، وتذهب شتى المذاهب بعد أي عنوان تكتبه ، ذلك أني من الناس الذين تزدحم الأفكار في أذهانهم فلا يعرفون ماذا يكتبون ، حتى يحضرهم شيطان الكتابة ، فيمسكون بالقلم ثم يضعون العنوان ، وينصرفون إلى ما سيكتبون. وهذا تحليل غريب للكتابة ، فلكل شخص أسلوبه وطريقته في دفع أفكاره وإبرازها وإخراجها على الناس ، وهي مسألة شخصية بحتة ، أود لو أن كتابا عنوا بالبحث فيها كيف يكتبون ، فيصفون لنا أنفسهم في ذلك الوقت ، وقد أعود إلى تسجيل شيء من هذا فيما بعد .

وبعد فإن ما يحتاج في ذهني هذه الأيام هو البحث في حالة مصر وأسباب هذا التأخر الذي يشملها ، لأنها لا تتقدم ، والوقوف في هذا العصر تأخر . ومن هذه الأسباب ضعف ثقافة الشعب في مصر ضعفاً ظاهراً إذ ليس العلم القراءة والكتابة فحسب ، فالقراءة والكتابة وسيلتان للعلم ، لا كتساب المعرفة من ناحية ، ولتقييدها وتسجيلها من ناحية أخرى . وإنما الثقافة هي صقل الذهن والفكر بالعلوم المختلفة ، ثم النظر إلى العالم خلال هذه العلوم بما يرفع الإنسان من عالم الحس إلى عالم المعنويات . أما أولئك الذين يعدون أنفسهم بما يحيطهم فقط دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث في الأشياء وطبائعها ، وأغراضها ومراميها ونظامها الذي تسير عليه ، أو فن بمعنى آخر أولئك الذين يلقون بأنفسهم في تيار الحياة ، تدفعهم الظروف إلى الخير تارة ، وإلى الشر تارة أخرى ، دون أن يعلموا إذا أصابهم خير ؛ لم أصابهم ! ودون أن يعلموا إذا مسهم الضر لماذا حل بهم ! فهؤلاء إلى الحياة الحيوانية البهيمية أقرب منهم إلى الحياة الإنسانية ، لأنهم يعيشون ليأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله ولكن الحياة ليست فقط المأكل والشراب ، وإنما هي شيء آخر أسمى من ذلك وأرفع ، هي التفكير . والتفكير الصحيح يحتاج إلى العلم والثقافة الواسعة ، والبصر بألوان الحياة واتجاهاتها المختلفة . فهذه الثقافة التي تهيء من الإنسان إنسانا بمعنى الكلمة ، هي التي نحتاج إليها في مصر ، حتى نسمو بأنفسنا ، وتتسع مداركنا ، وتتكشف أمامنا سبل الحياة التي

يعتقد أكثرنا أنها شديدة الضيق ، بينما يهاجر إلينا الأجنبي لا يملك قوت يومه ، فيجد في هذه الحياة التي نجدها ونبصرها شديدة الضيق ، متسعاً للعيش والثراء .

فالثقافة الحقة ضرورة من ضرورات الحياة الصحيحة في مصر .

هي ضرورة للتاجر الذي يريد النجاح ، للفنان الذي يريد الإبداع ، للصانع الذي يشتد الاختراع ، للمزارع الذي يسعى إلى ترقية الزراعة ..... وللمدرس الذي يود أن يفيد الطلاب .

فكل صاحب صناعة أو حرفة أو فن يحتاج إلى الثقافة العامة التي ترقي مداركه وتوسع ذهنه وتهذب فكره وتسدد خطاه في الحياة ، وتصلح في تفكيره وتنظيمه ، وتجعله يطغى على الحياة ويسيرها ويسوسها ويخضعها لمشيئته ، دون أن يجعل الحياة تطغى عليه .

أما الانجليز فلم يكن من صالحهم أن نرقى ، ولذا فرض علينا المستر دنلوب نظاماً في التعليم ، لا يخرج أشخاصاً مثقفين يستفيدون من الحياة ويفيدون ، ولكنه يخرج آلات لا تعرف من العلم إلا القراءة والكتابة ، أي القدر الذي يجعلهم صالحين للأداة الحكومية . وقنع الناس في مصر بهذا الأمر ، وأصبح منهم الأمل في الحياة أن يحصلوا على إجازة مدرسية لا يصلح من حصل عليها إلا أن يدخل في وظيفة حكومية ، حتى إذا ما أخطأته الوظيفة لم يستطع العيش .

ثم دالت الدولة وانقضى عهد دنلوب ، وأصبح الأمر في أيدي المصريين ، فثاروا على ذلك النظام ، وأيقنوا بفساده ، وشرعوا في إصلاحه واستبداله بغيره ، فهل أفلحوا ؟

أعتقد أن الأمر لا يزال حيث كنا ، ومدارسنا لا تعلمنا إلا علوماً نفرضها على الطلاب ليؤدوها في الامتحان ، حتى إذا حصلوا على الإجازة العلمية وقفت بحوثهم ، وركدت ثقافتهم والوقوف تأخر .

ولعلك تسأل ماذا يروي ظمأ المتعطشين للعلم والثقافة ؟

وهذا سؤال نجيب عنه فيما بعد .

احمد فؤاد الاهواني

---

## كلمات مأثورة

عمارة البلدان بحب الاوطان .

عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم .

لا تتواضع لمتكبر فتذل نفسك في غير محل وتكبر نفسه بغير حق .

أبو الوفا معوض عوض

# العقليات المتمردة

## ومهمة المعلم الأولى

قد يكون من المتعذر على كثير من المعلمين والمربين إدراك الاتجاهات العديدة التى تتنازع عقلية الصبى حين يتلقى شيئا من الأوامر والنواهى، ولذلك فأن المعلم أو المربى الماهر لا تقاس مهارته بأتقان فن التربية والتعليم فحسب بل تقاس بقدرته على الاستقراء واكتشاف أسرار هذه العقلية

ويتلخص القانون العام لعقليات الصبية فى أنها تميل إلى الثورة والتمرد على كل ما يراد إلقاؤه عليها ولو كان فى مصلحتها ولكن أساليب هذا التمرد ووسائله وأنواعه واتجاهاته تختلف اختلافا بينا فى صبى عن الصبى الآخر

وما يشذ عن هذا القانون إلا العقليات الخاملة الراكدة التى كاد يحسبها المربون القدماء طبيعة هادئة متزنة

ولا يستطيع المربى أو المعلم أن يدرس الأساليب والاتجاهات والأوضاع المختلفة لعقليات الصبية إلا إذا كان متزنا كثير التجارب طويل المران ، ولهذا تفضل بعض الأمم المعلمين الذين قضوا وقتا طويلا فى مهنة التربية للمدارس الأولية والتحضيرية ، وقد تكون هذه الاشتراطات غير كافية للحصول على المثل الأعلى للمربى الذى يربى العقول الصغيرة ويهذبها وينميها لأن شروطا أخرى تكاد تكون أساسية يجب أن تتوفر فيه كسعة الصدر والأناة واحتمال الأحراج فى كل المناسبات ومسايرة الظروف والملابسات ، ولكن هناك شرطا آخر يجب أن يتفوق على هذه الشروط كلها وهو إيمان المربى الإيمان الصادق بأن التمرد والعصيان والثورة هى العناصر الأساسية للعقلية الفتية ، فأذا آمن بوجودها وبأنها أمر واقع لا مفر منه استطاع أن يدرس كل عقلية على حدتها واستطاع أن يكيف جماح هذه العناصر إلى حد ما

يحدث أحيانا أن المربى حين يدخل غرفة الدرس يبتدره أحد الصبية بقوله : « لا نريد درس الأملاء بل نريد المطالعة » فينقبض ويعد ما قاله الصبى إهانة لا تغتفر فمثل هذا

المربي لا يصلح عادة تربية الناشئين الذين ما يزالون كما أسلفنا في دور التمرد والعصيان والثورة

إن الواجب يقضي في هذه الحالة بأن يتقبل المربي هذا النوع من التمرد بسعة الصدر بل بابتسامة خفيفة إن كانت متصنعة كان المربي أيضا غير صالح لمهمته بل يجب أن تكون ابتسامة منبعثة من القلب ، وهي الابتسامة التي لا يستطيعها المربي إلا إذا كان كما قلنا مؤمنا بعناصر التمرد والعصيان إيمانا صادقا ، هذه الابتسامة من شأنها إطفاء حدة المتمردين والعاصين حتى إذا فعلت فعلها تناول هذا الصبي بحاورة هادئة رزينة ليستنبط الدوافع على هذا التمرد المفاجيء وليتوصل من طريق هذا الاستنباط إلى الأسالب والوسائل الطبيعية لهذه العقلية ، وحبذا لو تمادى في الدرس والتحقيق فاستغرق فيهما من الوقت في استطلاع آراء بقية الطلبة في الرغبة المتمردة التي أبداها زميلهم

بهذه الطريقة وحدها يستطيع المربي أن يلين العقليات الناشئة التي ما تزال في دور التكوين إذ يطلق لها العنان أولا في جو مشبع بالحرية التامة مطلق من كل قيد ثم يأخذ في تطويقها كما يفعل القائد الماهر بعد أن تكون أجهدت نفسها في نطاق الحرية وهدأت ثورتها في ساحة هذا الاطلاق ثم يشرع يضيق عليها شيئا فشيئا بحيث لا تشعر بشيء من الضيق حتى يردها إلى حظيرة الهدوء والاتزان

إن تكرار هذه العملية يعود عقلية الصبي على الرجوع إلى الهدوء والتعقل من تلقاء نفسها كلما أحست من نفسها شذوذا فلا تعود في حاجة إلى الإرشاد والقمع في مستقبل حياتها

إن هذا العمل الجبار يتطلب رجالا واسعي الحيلة طويلي التجربة وهذا ما يعزز نظرية بعض الأمم التي تنظر إلى معلميها الأولين بعين الاكبار والاجلال نظرا لما يقومون به من التجارب الخطيرة ونظرا لما يبذلون من تضحية رأيت بعض مناحيها في هذا المقال في ميدان التربية والتعليم ؟

( من رسائل الأستاذ ترتيوني ) ( عن الايطالية )

ع . ط